



الحلقة 1

« مقدمة ابن خلدون ».. كتاب عربي علم العالم

إعداد: ربيع سكر



غلاف كتاب مقدمة ابن خلدون



رسم فني لابن خلدون

– وقال ليف لاكوست: ان مؤلف ابن خلدون يمثل ظهور التاريخ كعلم، وهو أروع عنصر فيما يمكن أن يسمى بالمعجزة العربية. – انك نتبيننا بان ابن خلدون في القرن الرابع عشر كان أول من اكتشف دور العوامل الاقتصادية وعلاقات الإنسان. ان هذا النبا قد أحدث وقعا مثيرا وقد اهتم به صديق الطرفين (المقصود به لينين) اهتماما خاصا. ” من رسالة بعث بها مسيحي غوركي إلى المفكر الروسي انوتشين بتاريخ 21/ ايلول سبتمبر 1912“.

– وقال لينين: تسمى أليس في الشرق آخرون من أمثال هذا الفيلسوف.

– وقال روجية غارودي: فقها يتعلق بدراسة هيكل المجتمعات وتطورها فإن أكثر الوجوه يمثل تقدما يتمثل في شخص ابن خلدون والعالم والفنان ورجل الحرب والفقهاء والفيلسوف الذي يضارع عملاقة النهضة عندنا بعبقريته العالمية منذ القرن الرابع عشر.

وفاته

توفي في مصر عام 1406 م، ودفن في مقابر الصوفية عند باب النصر شمال القاهرة. وقبره غير معروف، والدار التي ولد بها كائنة بنهج تربة الباي عدد 34 بتونس العاصمة بالمدينة العتيقة.

المصادر

1- مقالة للكاتبة علياء طلعت في 19/10/2015 www.arageek.com

2- رابط الطبعة السادرة من مقدمة ابن خلدون عام 1904 <https://ia601004.us.archive.org/1/items/almuqaddimah00ibnk/almuqaddimah00ibnk.pdf>

3- موسوعة ويكيبيديا

4- موقع المعرفة الإلكتروني

وأسس العلوم الإنسانية والعلمية. وتقدم ” الوسط “ خلال شهر رمضان سلسلة من الحلقات بعنوان «كاتب وكتاب»، وهي نماذج وأمثلة لمؤلفات عربية تركت علامة في الحضارة الإنسانية في الشرق والغرب بطريقة أو بأخرى، فمن المؤكد ان التقدم الهائل الذي وصلت إليه البشرية اليوم، لم يظهر بين يوم وليلة.. إنما جاء من تراكم هائل للخبرات والمعلومات والرؤى والنظريات والأبحاث، التي توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل .. وقرناً بعد قرن .. وارتكزت عليها الحضارة الإنسانية، وقامت بالبناء عليها والتطوير فيها، وحتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن..

وجولتنا اليومية بين أوراق الكتب التراثية والحديثة وما نعرضه منها على حلقات خلال شهر رمضان المبارك، هي دعوة للأجيال الحالية للبحث والتنقيب في تراث الأجداد من العلماء والأدباء والمفكرين العرب والمسلمين الذين علما العالم بمؤلفاتهم وحبهم للعلم وأفنوا حياتهم في خدمة الإنسانية جمعاء حتى بلغت الحضارة الإسلامية درجة عالية من الرقي بجهود العلماء المسلمين والخلفاء الذين شجعوا هؤلاء العلماء، فازدهرت الحياة العلمية في شتى نواحي المعرفة، وكان لمؤلفات العلماء المسلمين دور كبير في نهضة البشرية وتقدمها التكنولوجي الذي يعيشه العالم الآن، وفي تلك الحلقات تلقى الضوء حول بعض مؤلفات العلماء العرب والمسلمين العظماء الذين كانوا يعيشون في العصور الوسطى، في مساحة جغرافية هائلة، امتدت من الأندلس غرباً إلى تخوم الصين وروسيا شرقاً... فهل يمكن ان نعيد انتاجهم بيننا من جديد في هذا العصر الذي نعيشه الآن لنصنع نهضتنا العربية والإسلامية من جديد؟

العالم وكان المامون يرسل العلماء المتخصصين للبحث عن الكتب وجمعها من مصادرها، وعرقت أيضاً مكتبات المساجد والمكتبات الخاصة والمكتبات العلمية والبحثية ومكتبات الخلافة ومكتبات المشافي.

وكان المسجد مركزاً للعلم والدراسة إضافة إلى العبادة وذلك حتى زمن قريب وما زال بعضها كذلك حتى الآن في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي وأماكن تجمع المسلمين، واشتهرت مساجد كثيرة باعتبارها مراكز للعلم والفقه والبحث كالمسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة والمسجد الأقصى في القدس، والمسجد الأموي في دمشق، والجامع الأزهر في القاهرة، ومسجد الزيتونة في تونس، ومسجد قرطبة، وجامع المنصور في بغداد.

لذلك فإنه على الرغم من تفوق الحضارة الغربية في الوقت الحالي، إلا ان البدايات كانت عربية في العديد من المجالات، حيث أثنى العلماء العرب والمسلمون العلم في تخصصات مختلفة، بالإضافة إلى الأدب العربي الذي ألهم الكثير من الكتاب الغربيين، ونواحي أخرى متعددة.

وللاسف الشديد اذا سألت أحدهم: من هم العلماء الأكثر تأثيراً في التاريخ؟.. تكون الإجابة: اينشتاين، داروين، غاليليو، نيوتن.. وغيرهم.. وهي إجابة صحيحة بلاشك، لما قدمه هؤلاء من علوم واختراعات وأفكار، كانت هي السبب الرئيسي في تقدم الإنسانية.. لكن، هل فعلاً كانوا هم الرؤاد الأوائل في تقدم البشرية، ولم يسبقهم علماء آخرون مهدوا لهم العلوم والمعارف التي جعلتهم يبتكرون ما يبتكرون؟ بالطبع سبقهم علماء آخرون ابدعوا وأفوا وضعوا بدايات قواعد ونظريات

الحضارة العربية والإسلامية هي حضارة كتب ومكتبات كان لها أكبر الأثر في تقدم وازدهار الحضارة الإنسانية في العصر الحديث، ومن المعلوم ان الإسلام يحض على العلم ويعتبره فریضة على كل مسلم، وقد ابتداء القرآن الكريم نزوله بالآيات ”اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم“ وكانت الآية القرآنية ” والقلم وما يسطرون“ وقوله تعالى: ”إنما يخشى الله من عباده العلماء“ وقوله أيضاً: ”يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات“. وقد أحب المسلمون الكتب حباً ملك عليهم مشاعرهم وذكر ول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة) ” بل يبلغ حب الكتب في بلد آخر من العالم إلا في بلاد الصين في عهد منج هوانج ما بلغه في بلاد الإسلام في القرون الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر..“

ومن المثقف عليه أنه بدأت الحركة العلمية الإسلامية في القرن الأول الهجري، يجمع القرآن الكريم ونسخه، وجمع الحديث الشريف وتدوينه، والترجمة إلى العربية عن اليونانية والفارسية والهندية وغيرها من اللغات، والدراسات الفقهية، والأشعار والأنساب، وتسجيل السيرة النبوية والمغازي، وظهرت المكتبات الخاصة، وتطورت المكتبات ونضجت وازدهرت في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وبلغت ذروتها في القرن الرابع، وشهد القرن الثاني الهجري تطوير أو اختراع الورق الذي نقل الحركة العلمية ثقلة مهمة وبعيدة فازدهرت صناعة النشر (الوراقة). وبنيت في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد مكتبة بيت الحكمة التي كانت مركزاً مهماً لترجمة الكتب التي جمعها المسلمون من خزائن الكتب في مختلف أرجاء

- ◆ **أرنولد توينبي: ابتكر ابن خلدون وصاغ فلسفة للتاريخ هي أعظم ما توصل إليه الفكر البشري في مختلف العصور والأهم**
- ◆ **جورج مارسيز: مؤلف ابن خلدون هو أحد أهم المؤلفات التي أنجزها الفكر الإنساني**
- ◆ **ايف لاكوست: الكتاب يمثل ظهور التاريخ كعلم وهو أروع عنصر يمكن أن يسمى بالمعجزة العربية**
- ◆ **مكسيم غوركي: ابن خلدون في القرن الرابع عشر كان أول من اكتشف دور العوامل الاقتصادية وعلاقات الإنتاج**
- ◆ **لينين: تسمى أليس في الشرق آخرون من أمثال هذا الفيلسوف**
- ◆ **روجية غارودي: ابن خلدون العالم والفنان ورجل الحرب والفيلسوف الذي يضارع عملاقة النهضة عندنا بعبقريته العالمية منذ القرن الرابع عشر**

إلى الصحابي.

رحل ابن خلدون بعلمه إلى مدينة بسكرة حيث تزوج هناك بإحدى بناتها، ثم توجه عام 1356 إلى فاس أين ضمه أبو عنان المريني إلى مجلسه العلمي واستعمله ليتولى الكتابة مورخاً لعهد و ما به من أحداث، و قدر لابن خلدون رحيل آخر عام 1363 لإدلاء فریضة الحج و وجد ابن خلدون سفينة تستعد للعودة إلى الإسكندرية فركبها وتوجه إلى القاهرة أين قضى بقية حياته وتولى هناك القضاء المالكي بمصر بوصفه قاضياً متميزاً خاصة أنه سليل المدرسة الزيتونية العريقة وكان في طفولته قد درس بمسجد القبة المجرى من قبله سالف الذكر المسمى ”سيد القبة“، توفي ابن خلدون في القاهرة سنة 1406 م (808 هـ). ومن بين أسنذته

والأندلس، كما توجّه إلى مصر، حيث أكرمه سلطنتها الظاهر بقوق، وولى فيها قضاء المالكية، وظل بها ما يناهز ربع قرن (784-808هـ)، حيث توفّي عام 1406 عن عمر بلغ ستة وسبعين عاماً ودفن قرب باب النصر بشمال القاهرة تاركاً تراثاً ما زال تأثيره ممتداً حتى اليوم. ويعتبر ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع الحديث واب التاريخ والاقتصاد ولد ابن خلدون في تونس عام 1332 (732 للهجرة) بالدار الكائنة بنهج تربة الباي وقم 34. أسرة ابن خلدون أسرة علم وأدب، فقد حفظ القرآن الكريم في طفولته، وكان أبوه هو معلمه الأول [8]، شغل أجداده في الأندلس وتونس مناصب سياسية ودينية مهمة وكانوا أهل جاه ونفوذ، نزح أهله من الأندلس في منتصف القرن السابع الهجري، وتوجهوا إلى تونس، وكان قدوم عائلته إلى تونس خلال حكم دولة الحفصيين. يتعقب ابن خلدون أصوله إلى حضر موت وذكر في موسوعته كتاب العبر المعروفة باسم ”تاريخ بن خلدون“ أنه من سلالة الصحابي وائل بن حجر ولم يدعي أنه يعرف كل أجداده

العصر نفسه. وبهذا يكون ابن خلدون هو من وضع الأسس الحقيقية لعلم الاجتماع. اعتبر ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع وأول من وضعه على أسسه الحديثة، وقد توصل إلى نظريات باهرة في هذا العلم حول قوانين العمران ونظرية العصبية، وبناء الدولة وأطوار عمارها وسقوطها. وقد سبق آراؤه ونظرياته من توصل إليه لاحقاً بعدة قرون عدداً من مشاهير العلماء كالعالم الفرنسي أوجست كونت. ويكمن في أهمية ابن خلدون كعالم اجتماعي هو أن المجتمعات البشرية تسير وتمضي وفق قوانين محددة وهذه القوانين تسمح بقدر من التنبؤ بالمستقبل إذا ما درست وفُهِت جيداً، وأن هذا العلم (علم العمران كما أسماه) لا يتأثر بالحوادث الفردية وإنما يتأثر بالمجتمعات ككل، وأخيراً أكد ابن خلدون أن هذه القوانين يمكن تطبيقها على مجتمعات تعيش في أزمنة مختلفة بشرط أن تكون البنى واحدة في جميعها، فمثلاً المجتمع الزراعي هو نفس المجتمع الزراعي بعد 100 سنة أو في انهيها ما مركزاً في تفسير ذلك على مفهوم العصبية. بهذا الكتاب سبق ابن خلدون غيره من المفكرين إلى العديد من الآراء والأفكار حتى اعتبر مؤسساً لعلم الاجتماع، سابقاً بذلك الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت.

ويمكن تلخيص المقدمة في مجموعته نظريات وأسس وضعها ابن خلدون لتجعل منه المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع على عكس ما يدعيه علماء الغرب أن المؤسس الحقيقي هو الفرنسي أوجست كونت ومن خلال فكره المقدمة يمكن وضع ثلاثة مفاهيم أساسية تؤكد ذلك وهي أن ابن خلدون في مقدمته بين أن المجتمعات البشرية تسير وتمضي وفق قوانين محددة وهذه القوانين تسمح بقدر من التنبؤ بالمستقبل إذا ما درست وفُهِت جيداً، وأن هذا العلم (علم العمران كما أسماه) لا يتأثر بالحوادث الفردية وإنما يتأثر بالمجتمعات ككل، وأخيراً أكد ابن خلدون أن هذه القوانين يمكن تطبيقها على مجتمعات تعيش في أزمنة مختلفة بشرط أن تكون البنى واحدة في جميعها، فمثلاً المجتمع الزراعي هو نفس المجتمع الزراعي بعد 100 سنة أو في انهيها ما مركزاً في تفسير ذلك على مفهوم العصبية. بهذا الكتاب سبق ابن خلدون غيره من المفكرين إلى العديد من الآراء والأفكار حتى اعتبر مؤسساً لعلم الاجتماع، سابقاً بذلك الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت.



صورة فهرس الكتاب



تمثال لابن خلدون في قلب العاصمة بساحة الاستقلال في تونس

(مقدمة ابن خلدون) هو الكتاب الذي كان مقدمة لكتاب في التاريخ باسم (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) لابن خلدون ... لكن من موسوعة ابن خلدون في مقدمته وتناوله لجميع المعارف أصبح الكتاب منفصلاً بذاته ومن أهم الكتب في التاريخ وعلم الاجتماع على الإطلاق شرقاً وغرباً، وأصبح أحد أهم الكتب الأكثر تأثيراً في تاريخ البشرية بل هو بصدد (كتاب عربي علم العالم)!

وهذا الكتاب ما زال حتى يومنا هذا رمزاً لعبقريته الحضارة العربية الإسلامية، والذي يحمل في طياته تاصيلاً مباشراً لعلم الاجتماع أو السوسولوجيا، وأتى فيها بما لم يستطع أحد من قبله أن يأتي بمثلها..

وابن خلدون هو فخر الأمة العربية والإسلامية عبر العصور، فهو العالم العربي المسلم، الذي كان - كغالب العلماء العرب المسلمين - موسوعة علمية وثقافية منتقلة تسير على قدمين؛ فقد كان فليكياً واقتصادياً ومورخاً واستراتيجياً وعالمًا للرياضيات وفيلسوفاً .. ولكنه اشتهر أكثر بكونه مؤسس علم الاجتماع..

ومقدمة ابن خلدون جعلت الكثيرين ممن جاؤوا بعده يجدون صعوبة بالغة في الزيادة على ما وصل إليه في كتابه القيم .. لهذا السبب - وغيره - يحتفي به العالم أجمع احتفاءً شديداً حتى يومنا هذا

نبذة عن الكتاب

مقدمة ابن خلدون : المقدمة هو كتاب الفقه ابن خلدون سنة 1377م مقدمة لمؤلفه الضخم الموسوم كتاب العبر الاسم الكامل للكتاب هو كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر). وقد اعتبرت المقدمة لاحقاً مؤلفاً منفصلاً ذي طابع موسوعي إذ يتناول فيه جميع ميادين المعرفة من الشريعة والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والبشرى والاجتماع والسياسة والطب. وقد تناول فيه أحوال البشرى واختلافات طبائعهم والبيئة وأثرها في الإنسان. كما تناول بالدراسة تطور الأمم والشعوب ونشوء الدولة وأسباب

صور لصفحة من طبعة نادرة من مقدمة ابن خلدون عام 1904